Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 4, No. 1 **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2022.040110 **Pages: 99-115**

شعراء طيّئ الأسلاميّين في ميزان النقد

أ. م .د. موفق أسعد محمد العنبكي
الكلية التربوية المفتوحة / ديالى، 32001، العراق
Muwaffaqasaad@gmail.com

This article is open-access under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ملخّص البحث

يعتني هذا البحث بشعراء طيء الذين عاشوا في العصر الإسلامي، وفيه محاولة للإجابة على السؤال: ما مستوى شعرهم على وفق معايير النقد العربي؟ وللإجابة على هذا السؤال ارتأينا أن نتبع آراء النقاد العرب القدامى في أحكامهم على أشعار العرب، فسنكشف عن البناء الفني لهذه الأشعار سواء كانت قصائد أم مقطوعات، وهل كانوا في قصائدهم من ذوي النفس الشعري الطويل أم القصير؟ وكيف بنوا تلك القصائد؟ وهل اتبعوا سنن الشعراء الأقدمين في مقدمات قصائدهم؟ وهل تحققت الوحدة الموضوعية في تلك القصائد أم طرقوا أكثر من موضوع؟ وهل وفّقوا في انتقالهم من موضوع إلى آخر؟ ثم سنتطرّق إلى موضوعات تلك الأشعار وسنعرضها على سنن الشعراء العرب في استيفاء المعاني الشعرية في تلك الأغراض في: الفخر، والمديح، والهجاء، والرثاء، والغزل، والوصف ... وسنعطي رأينا في تلك المعاني على وفق معايير النقد العربي، ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: شعراء طيّئ، العصر الاسلامي، ميزان النقد.

The Islamic Tai Poets in Balance of Criticism

Mawaffaq Asaad Mohammed Al. Anbake (ph.D) Asst
Open Educational College, Diyala, 32001, Iraq
Muwaffaqasaad@gmail.com

Abstract

This research is concerned with the poets of the tribe of Tai who lived in lslamic era, and it attempts to answer the question: what is the level of their poetry according to the standards of Arab literary criticism? To answer this question, we decided to follow the opinions of the old Arab critics in their judgments of Arab poetry. We will reveal the artistic structure of these poems, whether they are poems or fragments, and were they in their poems with a long or short poetic breath? And how did they build those poems? Did they follow the traditions of the ancient poets in the introductions to their poems? Was the thematic unity achieved in these poems or did they address more than one theme? Did they succeed in moving from one subject to another? Then we will address the topics of these poems and we will present them to the Sunan of Arab poets in the fulfillment of poetic meanings in those purposes in: pride, praise, satire, lamentation, spinning, description... And we will give our opinion on these meanings according to the standards of Arab literary criticism.

Keywords: Tai Poets, Islamic and Balance of Criticism

Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 4, No. 1 **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2022.040110 **Pages: 99-115**

المقدّمة

وقع بين يديّ كتاب (شعراء طائيون)، فوجدت فيه أشعاراً تستحق الدرس، تناولت منها ما يخص بحثي الموسوم: شعراء طيّء الإسلاميين في ميزان النقد، وآثرت أن يتقدّمه تمهيد يعرف بقبيلة طي ء وبشعرائها الإسلاميين، وأن أدرس البناء الفني لأشعارهم من حيث كونها قصائد أو مقطّعات ومن حيث بنائها الداخلي وترابط أجزائها، فضلاً عن نقد المعاني التي نظموا فيها سواء بمقطّعاتهم أم بقصائدهم، وذيّلته بخاتمة وقائمة للمصادر.

سأترجم لأبرز الأعلام والأماكن التي ترد في البحث كما سأحدّد البحر الشعري للأشعار، واخرّجها من مظانها وأوضح مفرداتها الغريبة، وأبرز كتابين سأعتمدهما: شعراء طائيون، وشعراء إسلاميون، وسأبذل ما بوسعي؛ ليخرج البحث بما يرتضيه القارئ الكريم , والله الموفق .

قبيلة طيّء من القّبائل العربيّة اليمنيّة القديمة التي استوطنت اليمن حتى انهيار سد مأرب، اتجهت نحو نجد والحجاز حتى استقرت بجبلي أجأ وسلمى [1]، ثم انتشرت في الأمصار في أثناء الفتوحات الإسلاميّة، وطيّء لقب غلب على أحد أجداد القبيلة وهو جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان [2]. وطيء هذا أحد جماجم العرب في الجاهلية كان فارسا شجاعا وشاعرا مذكورا من المعمّرين [3]، وهو القائل:

إنّا من الحيّ اليمانيينا إن كنت عن ذلك تسألينا [4]

في السنة التاسعة للهجرة وجّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سريّة إلى بلاد طيّء عليها علي (عليه السلام)، فأغار عليهم وسبى وغنم، ومن بعدها وفد عدي بن حاتم الطائي على رسول الله فأسلم وحسن إسلامه [5]، وفي السنة العاشرة للهجرة قدم على رسول الله وفد طيّء فيهم زيد الخيل [6]، وهو سيّدهم فأسلموا، تضمّ قبيلة طيّء عدداً لا يستهان به من الشعراء منهم من شهدت له ساحة النقد الأدبي بالشاعريّة والفحولة والتقّدم على الأقران[7] على مرّ العصور والأزمان، وقد حاول بعضهم جمع شعر شعرائها من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي[8]، إلاّ أنّه أغفل الكثير منهم لأسباب غير معروفة ربما تكون دينيّة أو مذهبيّة[9]، أو ربّما أغفلها لأنّه لم يطّلع عليها[10]، وربما لم يشر إلى القسم الآخر من الشعراء؛ لأنّ أشعارهم قد جمعت[11]، وقد جزم نقّادنا القدامى بأنّ(الدين بمعزل عن الشعر)[12] .

من شعراء طيّء الإسلاميين الذين تناولهم البحث كعب بن الأشرف [13] الذي جعله ابن سلّام ثالث شعراء اليهود [14]، وقد قيل فيه: (كان شاعراً فحلاً وخطيباً فصيحاً) [15]، ومنهم عروة بن زيد الخيل[16] أحد قادة الفتوح في صدر الإسلام شهد وقعة القادسية وفتح الري وقم وقيشان وقد كان شاعراً مجيداً، وخريّم بن أوس[17] الذي أسلم مع من أسلم من قبيلته وكان شاعراً وراوية ثقة، وأبو زبيد الطائي[18] انمازت منزلته الشعرية (في زياراته للملوك وتقريبهم له واعجاب الخلفاء بجودة أوصافه الشعرية)[19] كما انماز بصدق عاطفته في الرثاء، إذ رثى عثمان وعلي رضي الله عنهما وعّدت مرثيته لابن أخته (في القصائد الجياد من المراثي) [20]، وبشر بن العسوس[21] الطائي أحد رجال صفّين الذين قاتلوا تحت لواء الإمام علي -عليه السلام- وعبد الله بن خليفة[22] فارس طيّء يوم صفّين وشاعرها المقدّم وخطيبها المفلق ولرجاحة عقله كان الإمام علي (عليه السلام) يكرمه ويجلسه إلى جنبه ويشاوره في بعض أموره، والأديبة الشاعرة منفوسة بنت زيد الخيل[23] ، وأخوها الصحابي حريث بن زيد الخيل[24]، والصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي[25] الفارس الجواد أحد شعراء طيّء المخضرمين ورئيسها في الجاهلية والاسلام .

أولاً: البناء الفنّي

غلبت المقطّعات الشعريّة القصيرة على شعر شعراء طيّء الإسلاميين ولجوا فيها أغراضهم دون مقدّمات، وعبرّوا فيها عن أغراضهم بلمحة دالّة، كان جلّها ذات غرض واحد وربما كانت آنيّة ارتجلت ارتجالاً واءموا فيها بين المواقف التي مرّت بهم وبين انفعالاتهم، ونجد ذلك بارزاً عند شعرائهم الفرسان أمثال عروة بن زيد الخيل[26]، وعبدالله بن خليفة[27] وعدي بن حاتم[28] على شاكلة قول عبدالله بن خليفة يوم صفّين :

أنا الذي كنْتُ إذا الداعي دعا مصمّما بالسيف ندباً أروعا
فأ نزل المستلئم المقنّعـــا وأقتل المبالط السّميدعـــا [29]

هنا عبّر الشاعر عن شجاعته ومنازلته للأقران من شجعان الخصوم والتغلّب عليهم، فضلاً عن إثارة الحماس في نفسه ونفوس أصحابه، وقول بشر بن العسوس :

ياطيّء السهولِ والأجبالِ ألا انهدوا بالبيضِ والعوالي

وبالكماةِ منكُمُ الأبطال فقارعــوا أئمة الجهّـــالِ

السالكين سُبُل الضّلّالِ [30]

تميزت المقطوعة بسهولة ألفاظها وبعدها عن التكلّف والصنعة ووحدة موضوعها، دعا فيها مرتجلها إلى تحميس أصحابه لمقارعة الخصوم، كما انمازت بوحدة الشعور والعاطفة، ومهما قيل في المفاضلة بين الطوال والقصار من الأشعار تبقى الأرجاز المرتجلة القصيرة في مثل هذه المواقف لها قصب السبق على ما سواها وربما كان هذا رأي الشعراء أنفسهم، قال أحدهم: (القصار أولج في المسامع وأجول في المحافل) [31].

لم تكن المقطوعات القصيرة عند شعراء طيّء خاصّة بالأرجاز الحربيّة فحسب، بل تعددت؛ لتشمل بحوراً وأغراضاً شعرية أخرى نحو: الهجاء، والوصف، والرثاء، والمديح، والحكمة، والفخر [32] فهذا أبو زبيد يهجو من منعه صلته بثلاثة أبيات قائلاً:

ليتك أدّبتني بواحـــــدة تجعلها منكَ آخر الأبـــدِ

تحلف ألّا تبرّني أبـــــداً فإنّ فيها برداً على كبـــدي

إنّ كان رزقي إليك فارم به في ناظري حيّةٍ على رَصَدِ[33]

لم يزد على قوله لمهجوّه لولا منعتني صلتي إلى الأبد بقسم تبرّ به، فتريحني كي أيأس منه كمن ينظر إلى طعام في فم أفعى قاتلة، وللشاعر مقطوعات أخرى في الهجاء على هذا النمط [34]، وشابهه إلى حدّ بعيد عدي ابن حاتم [35]، وكعب بن الأشرف [36].

مقدّمات القصائد وترابط الأجزاء

ينبغي على الشاعر أن يكون كالخطيب الحاذق الذي يستميل السامعين بمقدّمة يمهّد بها لموضوعه، كما ينبغي عليه (أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والرسائل دالّاً على المعنى المقصود) [37]، وقد عاب النقاد العرب القدامى على الشعراء الذين لم يفتتحوا قصائدهم بها فشبّهوا القصائد الخالية من المقدّمة بالخطبة البتراء [38].

من يقلّب صفحات أشعار شعراء طيّء الإسلاميين يجد قصائدهم في غالبها الأعمّ لم يفتتحها أصحابها بهذه المقدمات التي اعتاد الشعراء العرب على إلقائها في المحافل الرسميّة والأدبية، حتى أصبحت من سننهم، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ شعراء طيّء الإسلاميين لم يكونوا من الشعراء المدّاحين الذين حبّروا قصائدهم وهذّبوها؛ لينافسوا غيرهم، وليحصلوا على أعطيات الممدوحين، كما أنّهم لم يكونوا من الهجّائين الذين تباروا مع غيرهم؛ ليحقّقوا الغلبة عليهم واكتفوا بالفخر والموضوعات الآنيّة.

وكأنّي بنقّادنا القدماء قدّموا الشاعر الذي برع بهذين الغرضين – أعني المديح والهجاء - من ذلك استدلالهم بتخلّف ذي الرمة عن مرتبة الفحولة؛ لأنّه شغل نفسه في بكاء الدّيار ووصف الإبل كما علّل ذلك الفرزدق [39]، ومن القصائد التي نحسبها رسمية قصيدة عبدالله بن خليفة التي عاتب فيها عديّا بن حاتم وقد وعده الأخير أن يردّه من منفاه الذي نفاه إليه زياد بن أبيه؛ لخروجه على السّلطان مع حجر بن عديّ [40]، قال في مقدّمتها :

تذكّرْتُ ليلى والشبيبة أعْصُرا وذكر الصّبا برْحٌ على من تذكرا [41]

وولّى الشّباب فافتقدْتُ غصونه فيـــالك من وجْدٍ به حين أدبـرا

نجد أنّ هذه الافتتاحية ملائمة للموضوع الرئيس - شكاية طول المقام بالمنفى فتذكّر الحبيبة والأصحاب وأيام الصّبا عصراً - بعد فوات سائر اليوم – ملائم؛ لشكوى طول غيابه عن قومه غريباً في منفاه في قوله:

فلا يبعدَنْ قومي وإن كنْتُ غائبا وكنت المضاعاً فيهُمُ والمكفّرا[42]

كما نجده قد بناها بناء منطقيّاً، إذ انتقل من الغزل إلى الرثاء؛ ليقول لقومه ضمناً أنّ هؤلاء الذين وهبوا مهجهم في سبيل الإسلام بوقوفهم بوجه الظلم أجدر بالمجد منكم بخضوعكم للظالمين، وقد اتبع سنن الشعراء الأقدمين بما يسوّغ الانتقال من الغزل إلى

الرثاء بقوله: (فدع عنك تذكار الشّباب وفقده)[43] ؛ لينتقل انتقال مفاجئ إلى عتاب قومه بشدّة؛ كونهم أسلموه إلى عدّوه، وهنا نرى أنّه لم يحسن التخلّص من الرثاء الى العتاب، فلو شكا قومه الذين تخلّوا عنه إلى الذين رثاهم قبل انتقاله إلى العتاب لكان مسوّغا له، انتقل بعد ذلك إلى الفخر بنفسه وكأنه سبب لعتابه لهم بقوله: (فمن لكم مثلي لدى كل غارة)[44]، ولعلّ هذا ما قصده بعض النقاد العرب بقوله في الانتقال من غرض إلى آخر:(إذا أخذ في معنى آخر غيّر وجعل الأول سببا إليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض)[45]، وحسناً فعل الشاعر حينما خلط شكواه في منفاه بالفخر بنفسه؛ ليستميل قلوب قومه في قوله: (فبلّغ خليلي إن رحلت مشرّقاً)[46]، كذلك في خلطه بين العتاب والفخر في قوله :

جزى ربهُ عنّي عديّ بن حاتـمٍ برفضي وخذلاني جزاءَ موفّرا

أتنسى بلائي سادراً يا ابن حاتمٍ عشيّة ما أغنت عديّك حزمـرا؟ [47]

ليصل إلى بيت القصيد:

وكم عِدَةٍ لي منك إنّك راجعي فلم تغن بالميعاد عنّيَ حبترا

ثم يعود مازجاً بين الشكوى والفخر في قوله:

فأصبحت أرعى النيب طوراً وتارةً أهرهر إنْ راعي الشويهات هرهرا [48]

كأنّي لم أركب جواداً لغـــــارةٍ ولم أترك القرن الكميّ مقطّـــــــرا

ونرى بيته الثاني مأخوذا من قول امريء القيس:

كأنّي لم أركب جوادا للذّة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال [49]

ولكنّ شاعرنا ختم بيته بما يلائم صدره، في حين تنافر مصراعاً بيت امريء القيس، وحسناً فعل حين ختم الشاعر قصيدته بحبّه وتمسّكه بقومه بالرّغم من خذلانهم له؛ ليراجعوا أنفسهم فنرى القصيدة رسالة معبّرة عن عاطفة صاحبها، وفيها جودة تعبير عن التجربة الشعوريّة، وقريب منها قصيدة أبي زبيد في رثاء ابن أخته اللجلاج التي انتظمت في تسعة وخمسين بيتاً، افتتحها بالحكمة في خمسة أبيات قائلاً في مطلعها:

إنّ طول الحياة غير سعود وضلال تأميل نيلِ الخلودِ [50]

مهّد فيها لغرضه الرئيس فكانت مقدّمته سبباً لما بعدها في قوله بالإنتقال منها:

كلّ ميت قد اغتفرت فلا أو جع من والد ومن مولود

غير أنّ اللجلاج هدّ جناحي يوم فارقته بأعلى الصعيدِ

ثم شرع يستقصي مناقب المرثي، مفصّلاً القول في مكابدته سكرات الموت وقد اعتلته القنا، كما وصف وجده الشديد على فراقه ليختم قصيدته بذمّ الدّهر في البيتين الأخيرين، وقد عدّها النقّاد العرب القدامى (من القصائد الجياد في المراثي) [51]، على الرغم من قلّة موضوعاتها ربّما لروعة مطلعها وتلاؤمه مع غرضها، فضلاً عن صدق عاطفة صاحبها وله قصيدة أخرى في الهجاء نظمها في ثلاثة عشر بيتاً وصف فيها ضمناً حاله بعدما انتزع الوالي منه أرضاً، نجده فيها متحفّظاً تحفّظاً شديداً مستعملاً الكنايات البعيدة ابتدأها بشكوى الحبيبة قائلا في مطلعها:

ولقد متّ غير أنّي حيّ يوم بانت بودّها خنســـــاءُ [52]

وذكر أوصافها بثلاثة أبيات ثم انتقل بشكل مفاجئ؛ ليقول ضمناً بأنّه أهل للشدائد، ثم يتمنى بليت شيئاً مجهولاً، وهنا نظن أن القصيدة قد اقتطع منها بعض الأبيات، وربّما قصّر الشاعر هنا بانتقاله المفاجيء هذا ومعانيه غير المترابطة ثم انتقل بعدها إلى بيت القصيد :

أيُّ ساع سعى ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء

ثم وصف حال بعض الطيور والحشرات التي أجبرتها حرارة الشمس الشديدة إلى الاستضلال مع ما لا تطيق من أصناف غيرها؛ ليخلص إلى الفخر بنفسه من ينظر الى أجزاء هذه القصيدة للوهلة الأولى يجدها مفككة لا رابط بين موضوعاتها نظنّ أن الشاعر كان متقصّداً هذا التفكّك وهذا الإيهام في كناياته البعيدة؛ ليعبّر عن حالته النفسيّة المشتّتة من جهة ولكي يدرأ عن نفسه شبهة التذمّر من السلطة المتمثّلة بالوالي الجديد الذي سلب منه الحمى الّذي اقتُطِعَ له سابقاً من جهة أخرى.

وفيما عدا ذلك اتسمت قصائد شعراء طيء الإسلاميين بأنّها ذات موضوع واحد ولجه أصحابه بلا مقدّمة وقد كان جلّها في الفخر نحو أشعار كعب بن الأشرف (53)، وأشعار عروة بن زيد الخيل 54، وأشعار عديّ بن حاتم (55)، وأشعار أبي زبيد(56)، ويبقى أسلوبهم هذا قائماً حتى حينما نظموا القصائد التي تستدعي منهم التحبير والتهذيب؛ لأنّها قيلت في معرض مديح سادة القوم أو رثائهم كما فعل أبو زبيد في مدائحه الكثيرة للوليد بن عقبة ومديحه ورثائه للإمام علي عليه السلام ورثائه لعثمان بن عفان وعبيد الله بن عمر(57) - رضي الله عنهما- .

ثانياً: نقد المعاني

الفخر من أبرز الأغراض الشعريّة التي نظم فيها شعراء طي الإسلاميين أشعارهم؛ لتلاؤمه مع طبيعة حياتهم القبلية البدوية، إذ أحبّ البدوي بطبعه يكون سيداً لا مسوداً آمراً لا مأموراً معتدّاً بنفسه مستشعراً قوته من قوَة قومه حاولوا فيه تعداد فضائلهم النفسيّة فبرز من بينها تمجّدهم بالشجاعة، نحو قصيدة عروة بن زيد الخيل يوم نهاوند (58) التي يقول في بعضها:

ولمّاَ دعوا يا عروة بن مهلهل ضربت جميع الفرس حتّى تولَت

فقد ذكر الشاعر الوقعة ومكانها؛ ليكسب قصيدته صدقاً فنياً مضافاً إلى عاطفته الجيّاشة وهو يحسَ طعم النصر ممزوجاً بفرحة قومه، وقد خصَ الشاعر قبيلته بأنّهم أخلصوا نياتهم للجهاد فجرّعوا أعداءهم كأس المنون وإنه نذر نفسه للجهاد في سبيل الله تاركاً الدنيا وملذّاتها إيماناً بعقيدته الراسخة كما في قوله:

وأصبحتُ همَي في الجهاد ونيَتي فللّه نفسٌ أخلصت وتمنــَتِ

فلا ورق الدنيا تريد اكتســـــابه على إنّها من خّلهَا قد تخلَتِ

ونظن أنّ بحر الطويل قد استوعب أفكار الشاعر وعاطفته، وتضافر في خلق موسيقاها الرنّانة قافيتها المشدّدة ورويها التاء والمحسنات البديعيّة نحو الجناس في خلّها وتخلّت، فبدت قصيدته جهاديّة بامتياز، وفي قصيدة أخرى شبّه نفسه متوسطاً حشود الأعداء بضيغم وسط غابة وفيها أنصف أعداءه، إذ اعترف بشجاعتهم وأنّهم خرّقوا ثيابه وابتلّت بدمائه وتلك هي الحرب منها قوله:

وقفت كأني ضيغم وسط غابة فأدمي لدى الهيجاء فيها وأُكلــمُ

وأقعص فيها فارساً بعد فارس وما كلّ من يعشو الكريهة يسلم

فما زلت حتى خرّقوا برماحهم ثيابي وحتّى بلَ أقمصي الــدّم (59)

إلّا أنّ الشاعر بتر قصيدته ولم يكتمل معناها، إذ لم يعرف المتلقّي نتيجة اللقاء ولو وصف جموع الأعداء المنهزمين وفرحة قومه بالنصر؛ ليجعله خاتمة لها لكان أبلغ، فضلاً عن الإقواء في بيته الثاني، وقد قصَر الشاعر في مقطوعة أخرى في قوله:

يا قومنا لا تفضحوني يومي لا تكثروا من عَذلي ولومي (60)

إذ لم يوضّح بأيّ شيء عذله قومه؟ وما التقصير الذي بدا منه في تلك المعركة؟ مع أنّ النصر كان حليفهم فيها وتبعه في ذلك عبد الله بن خليفة إذ فخر بشجاعته بإقدامه ومنازلته الشجعان، كما استرجع مواقفه مع قبيلته في مشاركتها بالفتوحات الإسلاميّة(61) ومن شعراء طيء المجيدين في هذا الغرض أبو زبيد الذي عرف بارتجاله وطول نفسه الشعري وغرابة ألفاظه وجزالة لغته، وقد طلب الخليفة عثمان (رضي الله عنه) منه ذات يوم أن يسمعه بعض شعره، فقال:

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا أنَ الفؤاد إليهم شيَقٌ ولـــــــعُ

فالدّار تنبيهم عنّي فإنَ لهـــــــم وَدّي ونصري إذا أعداؤهم نصعوا

إما بحدّ سنانٍ أو محـــــافلةٍ فلا قحومٌ ولا فان ولا ضَـــــرَعُ

أخو المحافل عيّاف الخنا أَنِـفٌ للنائبات ولو أضلعْنَ مُضطلـــعُ

حمّالُ أثقال أهل الودَّ أونـــــة أعطيهم الجهد منّي بَلْهَ ما أســـعُ (62)

فقد فخر الشاعر بودّه ونصره لقومه عند الهياج بسنانه ولسانه، كما نراه في البيت الرابع ـ على خلاف عادة الجاهليين ـ يترفع عن زيارة بيوت الخنا مما يدل على تأثره بتعاليم الإسلام وأخذ بعد هذه الأبيات يتحدث عن شجاعته مشبّهاً نفسه بالأسد ثم أخذ يعدّد أوصاف ذلك الأسد كعادته في أغلب قصائده لتبلغ قصيدته اثنين وثلاثين بيتاً، مما ذهب بجمال القصيدة ولو اكتفى بأبيات قليلة في وصف الأسد، وأخذ بالافتخار بقومه وأثنى على الخليفة وجلسائه من المهاجرين والأنصار لاكتملت معاني قصيدته وأحسن فيها، فالشاعر المجيد عند نقّادنا الذي (لم يطل فيملّ السامعين ولم يقطع وفي النفوس ظمأ الى المزيد)[63] وفي قصيدة أخرى يرد على قبيلة بني شيبان، إذ قتلوا أحد أفراد قبيلته وكأنّه في فصل عشائري إذ ذكر فيها تفاصيل الحادثة ثم أخذ يهدّد القوم مفاخراً بقبيلته في خمسة وعشرين بيتاً منها قوله :

هل علمتم من معشر سافهونا ثم عاشوا صفحا ذوي غُلواء

كم أزالت رماحنا من قتيل قاتلونا بنكبةٍ و شقـــــــاء (64)

هنا يذّكّر خصومه بأمجاد قومه ولجاجتهم في القتال أنّ أجبروا عليه، ويذكر بعد هذين البيتين أنّهم إذا خاضوا الحرب كانوا صبراً عليها ولا يقبلون الصلح بل يقبلون على الطعان للذود عن العرض، وهذا تحذير لخصوم القبيلة فقد برع الشاعر في هذا الجانب وكان خير ممّثل لقومه ومدافع عنهم في المحافل والملمّات، لم يكن شعراء طي الإسلاميين على قدر متساو من الشاعرية أو على الأقل في غرض الفخر، فلم يؤثر عن خريّم بن أوس سوى مقطوعة في المديح وعن حريّث بن زيد الخيل مقطوعة في الرثاء[65]، ولم يؤثر عن منفوسة التي وصفت بأنّها أدبيه شاعرة غير ثلاثة مصاريع من الرجز ترقّص بها وليدها[66] ومعلوم أنّ العرب فصلت بين الرجز والقصيد، فقالوا: (كل مقصّد يستطيع أن يرجز...وليس كل راجز يستطيع أن يقصّد)[67]، ولم نجد فخر عدي بن حاتم بالفخر السابق الذي يليق بشخصيته الفذّة فلم يؤثر عنه سوى نتفتين في هذا الغرض، الأولى: قالها في أخذه بثأر خاله في صفين في ثلاثة أبيات مدعياً فيها بأنّه ترك قاتل خاله مخضوب الدماء بالرغم من تشفّع القتيل بآيات القرآن[68]، ولم يصف الشاعر نفسه وهيأته وإقدامه على نصرة الحق، ولم يرم أعداءه بالباطل، فقد يفهم المتلقي أنّ الشاعر خاض المعركة من أجل هذا الثأر لا من أجل العقيدة والمجيد من الشعراء عند نقادنا العرب القدامى من (إن فخر خبّ ووضع)[69]، وأخرى: وصف فيها محاولة معاوية بن أبي سفيان استمالته إلى معسكره والتخلّي عن الإمام علي (عليه السلام)، فكان جوابه بليغاً قاطعاً بالثبات على مبدئه والوقوف بجانب الإمام ببيتين فقط قائلاً فيهما:

يحاولني معاوية بن صخرٍ وليس إلى التي يبغي سبيلُ

يذكّرني أبا حسنٍ عليّـــاً وحظّي في أبي حسنٍ جليلُ (70)

ولو وضح السبب في التمييز بين الشخصيتين وافتخر بخصاله وتمسّكه بعقيدة الإسلام التي تدعو إلى نصرة الحق ومحاربة الباطل وترك ملذّات الدّنيا وتضحيته بأبنائه يوم صفّين لكان أفضل فينبغي على الشاعر (إذا شرع في غرض من أغراض الشعر إلاّ أن يتوخّى البلوغ إلى النهاية المطلوبة من التجويد) [71]، ومن الغريب أنّه لم يكن من معاني فخر شعراء طيء الإسلاميين التمجد بصفة الكرم تلك الخصلة التي اصطبغت بها القبيلة وسيدها حاتم الطائي الذي طار صيته في الآفاق؛ حتّى غدت القبيلة مضرب المثل وحيكت حول سيّدها القصص التي لا تخلو من المبالغة، جاءت الأغراض الشعرية الأخرى بنسب قليلة إذا ما قيست مع الفخر فقد نظم نصف شعراء طيء الإسلاميين في الرثاء، وأقل منه في الهجاء، ونظم ثلثهم في المديح ولم ينظم في الغزل سوى كعب بن الأشرف وأبي زبيد ومعلوم أن نقّادنا قدّموا الشاعر البارع المتصرّف بفنون الشعر الذي إذا بده أغزر[72]، وعلى وفق هذا فأنّ الشاعر المقدّم من بين شعراء طيء الإسلاميين هو أبو زبيد أولاً ثم يأتي من بعده كعب بن الأشرف ثانياً فعبد الله بن خليفة، أما الآخرون فهم نظموا الشعر ولم يرتقوا مرتبة الفحولة فيه، من قصائد الرثاء التي ذاع صيتها في كتب الأدب قصيدة كعب بن الأشرف التي رثى فيها قتلى بدر من مشركي قريش التي مطلعها:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدرٍ تستهلّ وتدمـــــــع (73)

وصفهم فيها بأنّهم سراة الناس ومأوى المضيّعين سادة كرام يتحمّلون الأعباء وقد عزّى نفسه والحاضرين بأنّ الموت يأتي على الملوك، وأبدى تفجّعه متمنّيا أن تشق الأرض وتسيخ بأهلها، ودعا على الذي جاء بخبر هلاكهم أن يعيش أصماً أعمى مرعشاً. وحرّض في نهاية القصيدة مشركي قريش وعلى رأسهم أبو سفيان على غزو المسلمين في قوله:

نُبئتُ أن الحارث بن هشامهم في الناس يبني الصالحات ويجمع

ليزور يثرب بالجموع وإنّما يحمي على الحسب الكريم الأروع

إنّ القصيدة كان لها وقع على المشركين، إذ جهّزوا الجيوش على إثرها، كما كان لها ذات الوقع على المسلمين إذ جعلت النبي يهدر دمه فكانت القصيدة سبباً في حتف أنف الشاعر، فقد مرّت بنا قصيدة عبدالله بن خليفة التي رثى فيها ضمناً حجر بن عدي وأصحابه، إذ دعا إلى البكاء عليهم معزّياً نفسه بتعاليم القرآن بأن أجلهم قد حان فلن يؤخّر، ووصفهم بأنّهم كانوا خير الأعوان والأصحاب، وأنّه لا ينساهم حتى الممات ومزج في رثائهم بين معاني الرثاء الجاهليّة والإسلامية في قوله:

على أهل عذراء السلام مضاعفاً من الله وليسق الغمام الكنهورا

ولاقى بها حجرٌ من الله رحمـــة فقد كان أرضى اللهَ حجرٌ وأعذرا (74)

إذ دعا لقبورهم بالسقيا والرحمة، ووصف حجراً بأنّه كان مرضيّاً عند الله متّصفا بالتقوى صادعاً بالحق بوجه الظالمين مطبّقا شرع الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقّ الخلود في الجنان وكرّر اسمه تلذذاً بذكره فاقتربت القصيدة من استيفاء معاني الرثاء، واتصفت بجودتها وعاطفتها الجيّاشة الصادقة، ومقطوعة حريّث في رثاء أحد رجالات طي ء، وصف فيها الفقيد بأنّه قتل غدراً وأنّه كان مطعاماً في أوقات الشدّة، وأنّ الشاعر أخذ بثأره ولم يقبل ديته بكناية لطيفة في قوله:

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة كراماً ولم نأكل بهم حشف النّخل (75)

وصبّر أم الفقيد بأنّ الموت يأتي على الجميع، فدلّت المقطوعة على بساطة تعبيرها ووضوح معانيها، وربما ارتجلت ارتجالاً، إلاّ أنّ الشاعر اكتفى بهذه الأبيات الخمسة ولم يؤثر عنه غيرها، كذلك كانت مقطوعة بشر ابن العسوس في رثاء أصحابه الذين سقطوا يوم صفين فقد اكتفى بأربعة أبيات (76)، إذ دعا على نفسه بالثبور بعدهم ووصفهم بالفوارس الذين لم تلد النساء أمثالهم، ولم يؤثر عنه سواها إذا ما استثنينا رجزه في تلك الوقعة.

أما أبو زبيد الطائي فقد نظم في هذا الغرض أربع قصائد ومثلها من المقطوعات، منها القصيدة التي ذكرناها في رثاء ابن أخته اللجلاج، اقتفى فيها سنن العرب في الرثاء وأجاد فيها كما أعجب بها نقادنا العرب القدامى فعدّوها من المراثي الجياد (77)، منها أيضا مرثيّته لراعي إبله التي بلغت ستة عشر بيتاً، اتخذ فيها نمطاً مخالفاً لقصائد الرثاء المألوفة، إذ لام فيها فقيده إقدامه على قتال التغلبيّين الذين أراقوا دمه بأسلوب لاذع شديد ساخر لا نجد فيه عبارات الأسى والتفجّع عليه بقدر تفجّعه على فقدان من يرعى إبله ويسقيها، قائلاً في بعضها:

إمّا تقارشْ بك الرماحُ فـلا أبكيكَ إلاّ للدّلوِ والمـرَسِ

حَمِدْتَ أمري ولمتَ أمرَك إذْ أمسك جَلْزُ السنان بالنَفَسِ (78)

واضح في بيته الثاني تصريحه بأنّه حسناً فعل حين وضعه للرعي بينما لامه على إقدامه على القتال، ولا نعدّ ذلك من المروءة وحسن الجزاء، إذ أنّ الفقيد ضحّى بنفسه؛ من أجل خدمة سيّده وحفظ كرامته وأمواله، أما رثاؤه لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهو دون المكانة التي كانوا عليها، فقد رثى الخليفة عثمان - رضي الله عنه- في عشرة أبيات وصف فيها مساحي الحفّارين بثلاثة أبيات ومثلها في وصف قبره ونعت الخليفة بأنّه كان حمّال تكاليف العجزة ومأوى الأيتام وتلهّف الشاعر عليه بمفردات حفّت بالغرابة نحو قوله:

مأوى اليتيمِ ومأوى كلّ نهبلةٍ تأوي الى نهبلٍ كالنّسر عُلْفوفِ (79)

وهذه المعاني يمكن أن يُرثى بها أيّ فرد من عامّة الناس، وكذا في رثائه للأمام علي (عليه السلام) فقد نعته بالخلق والعلم والفراسة وإمام الهدى لكن كان بمقدوره أن يدبّج فيه القصائد معدّداً فيها فضائله التي سارت بها الركبان، ولا يكتفي بخمسة أبيات كما فعل، منها قوله:

طبّ بصير بأضغان الرجال ولم يُعْدَل بحبر رسول الله أحبارُ (80)

وأقل منهما كَمّاً ونوعاً ما رثى به عبيد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) إذ لم يتجاوز البيتين (81)، بمعان باهتة بتشبيه غريب ومفردات أكثر غرابة، وكانت العرب تسلم السبق في الشعر (لمن وصف فأصاب وشبّه فقارب) (82)، كما رثى الشاعر نفسه بأبيات جميلة (83)، اتسمت ببساطة مفرداتها على غير عادته، أما أشعارهم في الهجاء فقد أثر عن كعب بن الأشرف مقطوعة يردّ فيها على امرأة من المسلمين هجته لرثائه قتلى بدر من المشركين، دعا فيها قومها الى زجرها ونعتها بالسفه وهدّد بفتح باب هجائه عليهم، وادّعى أنّه كان صادقاً في رثائه لهم وأنّه موكّل أمرها إلى الله (عز وجل) في ستة أبيات منها:

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا عن القول يأتي منه غير مقاربِ

أتشتمني إن كنت أبكي بعبـــرةٍ لقوم أتاني ودّهُم غير كـــاذبِ (84)

وقد جاءت المقطوعة على وزن وروي الهاجية؛ مما يدل على تمرّس الشاعر على مناقضة الشعراء، فقد قيل فيه كانت (له مناقضات مع حسّان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج) (85)، وكان بمقدور الشاعر أن يهجوها بصفة المفاخر من جهة الشجاعة والبأس والعقل والرأي والجود والعفّة كما فعل مواطنه السموأل، إلاّ أنّ الشاعر في موضع آخر ابتدع نهجاً جديداً في الهجاء ربما لم يألفه الشعراء العرب من قبل، أذ اتخذ من الغزل بنساء المسلمين سبيلاً لإغاضتهم (86)، فمهّد السبيل للشعراء من بعده، أما الشاعر عبدالله بن خليفة فقد جاء هجاؤه ضمن قصيدة استعطاف هجا فيها من شهد عليه زوراً وعاتب فيها قومه على خذلانه وقد مرّت بنا تلك القصيدة، منها قوله:

ولاقى الرّدى القوم' الذين تحزّبوا علينا وقالوا قول زور ومُنكَرا (87)

فإنّه وإن أجاد في القصيدة إلاّ أنّه في هجائه لم يزد على دعائه عليهم بالهلاك، وقد أثر عن عدي بن حاتم بيتان في عتاب ولده (88)، ولم يوضح فيهما سبب نكوصه على العقبين، هل فرّ من معركة؟ أم تراجع عن فعل مكرمة فمرّغ أنف والده؟ وما كان ينبغي عليه فعله؟ فقد قصّر الشاعر، إذ بتر المعنى ولم يكتمل عنده، أما هجاء أبي زبيد فقد أثر عنه ثلاث قصائد ومثلها من المقطوعات:

الأولى: تألفت من ثلاثة عشر بيتاً (89) وقد مررنا بها، وقلنا أنّه كان متحفّظاً فيها خوفاً من الوالي الجديد الذي انتزع منه الأرض التي اقتطعت له، وقد عرّض بالوشاة الذين سعوا به عند الوالي، ولم يصرّح بهجائه.

الثانية: كانت في هجاء أحد بني الحارث من شيبان؛ لقطعه يد أحد الطائيين نظمها في خمسة وعشرين بيتاً، كان هجاؤه فيها معتدلاً غير فاحش، إذ فخر بقبيلته ونوّه بقوتها وحذّر إذا ما استعرت الحرب فأنّ قومه لا يقبلون الصلح، منها قوله:

أصبحت حربنا وحرب بني الحا رث مشبوبة بأغلى الدّماءِ

هل علمتم من معشر سافهونـا ثمّ عاشوا صفحاً ذوي غلـواءِ (90)

فكان أسلوبه أسلوب العقلاء من الشعراء الذين (يتوعّدون بالهجاء ويحذّرون من سوء الأحدوثة) (91)، لكنّه لم يتعرّض إلى فضائلهم فيسلبها، وقد قيل: (أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية)(92)، أما قصيدته الثالثة فقد قالها في أزد عمان الذين قتلوا رجلاً من طيء في تسعة أبيات لم نجد فيها هجاء بقدر ما فيها من شكوى وتحسّر على ضياع دم القتيل إذا ما استثنينا قوله:

قتلتنا سيوف أَزْدِ عمانٍ سَفَهاً والدهورُ فيها العجيبُ (93)

أظهر الشاعر فيها قوّة الخصم وضعف قومه ولو أذاقهم مرارة هجائه لكان أفضل فكم من قول أنفذ من صول، أما في مقطّوعاته الشعرية فنراه في إحداها يضمّن هجاءه الفخر بأهاجيه، ويصف غريمه بالبلادة وفي الأخرى يهجو إحدى القبائل يعيّرها بنسبها ويصفها بأنّها لا تصلح للأمور(95)، وقد مرّت بنا مقطوعته الثالثة التي قالها فيمن منع صلته , فتبقى مقطّوعاته هذه آنيّة قالها على عجالة لم يكن متأنياً فيها ولا مستوفياً معاني الهجاء، إلاّ أنّها كانت مرتجلة فهي دليل على شاعريّته وتمكّنه من فنّه، وعلى العموم

يبدو أنّ شعراء طيء لم يكونوا شعراء هجّائين بالمعنى الدقيق؛ لأسباب منها قلّة ما وصل إلينا من أشعارهم في هذا الفن، وقصر نفسهم الشعري فيه إذ كان على قلّته مقطّعات قصيرة، فضلاً عن برودة معانيه، فلم يكن هجاء يحطّ من قدر المهجو وقد فضّل النقاد المطيل فيه لقولهم: (إنّ المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد) [96]، وخصّوا بذلك الهجاء وتلك وصية جرير لأبنائه في قوله: (إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة وإذا هجوتم فخالفوا) [97]، في غرض المديح نؤكد رأينا في شعراء طيء الإسلاميين أنّهم لم يتكسّبوا بشعرهم فيحبروه كي ينالوا إعجاب ممدوحيهم، فلم ينظم فيه سوى ابن الأشرف وخريّم وأبي زبيد، ولم يؤثر عن ابن الأشرف غير بضعة أبيات ضمن قصيدة من عشرة أبيات في الفخر مدح بها خاله وصفه بالإباء واللين مع أقربائه وشدّته وجلده على أعدائه، ونعته بالكرم والعزّ والشرف، منها قوله:

ربّ خال لي لو أبصرته سبط المشيةِ أبّاءٌ أنِـــــفْ

ليّن الجانب في أقربـــــه وعلى الأعداء سمّ كالذّعِفْ [98]

فهي على قلّتها نلاحظ فيها محاولة لاستيفاء معاني المديح (وإبداعاً في الأسلوب)[99] وقد زاد من جمال القصيدة قافيتها المقيّدة المتداركة [100]، وأوصافها الدقيقة الجميلة، كما لم يؤثر عن خريّم بن أوس سوى قصيدة من سبعة أبيات في مدح النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نراها مفككة غير مترابطة، إذ قال في مطلعها:

وأنتَ لمّا ولدت أشرقتِ الـ أرض وضاءت بنورك الأفقُ [101]

وقال في آخرها:

تنقل من صالب إلى رحمٍ إذا مضى عَالَمٌ بدا طبـــــقُ

والانتقال في الأصلاب يسبق الولادة، وقد فضّل النقاد الأشعار التي يفضي بعضها إلى بعض، فقالوا: (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء) [102] كما أنّ ابتداء القصيدة بحرف عطف غير محبّب، ولو قال: (ها أنتَ) بدل (وأنتَ) لكان أفضل وزنا ومعنى، ولم نجد فيها المديح الرافع الذي يليق بشخصية النبي الأكرم كما نرى فيها مبالغة مخلّة في قوله:

ثم هبطت البلاد لا بشـــــر أنت ولا مضغة ولا عَلَقُ

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرقُ

فقد نفى صفة البشرية عن النبيّ، ووصفه بنطفة تركب السفين، ومما تفاضل به العرب بين شعرائها (شرف المعنى وصحّته) [103]، أما مدائح أبي زبيد فقد خصّ بها نديمه وصديقه الوليد بن عقبة [104] الذي بادله الودّ، ونصره في شدائده، فجازاه الشاعر بمدحه بثلاث قصائد ومقطوعتين، وثّق بها مراحل سيرته معه التي بدأت بمنح الوليد له أرضاً كانت في حمى غيره بخمسة أبيات، خاطب بها صاحب الحمى بأنّ الوليد هو الذي أتاح لإبله الرعي فيه فأصبحت سمانا غزيرة اللّبن، وذكر فضل ممدوحه وأياديه السابغة [105]، ولا نرى فيها تميّزا بقدر ما فيها من وفاء ورد جميل، ونظم قصيدة فيه لنصره عندما استاق أصحاب الحمى إبله فردّها الوليد عليه نجد فيها صدق العاطفة، إذ ذكر حقّ الوليد عليه بالودّ والنصح وعدم الكفران؛ وذلك لرعايته وإظهاره على أعدائه فاستحقّ من الشاعر أن يفديه بنفسه، منها قوله:

إنّ الوليد لهُ عندي وحقَّ لـــه ودُّ الخليل ونصحٌ غير مذخورِ [106].

لقد رعاني وأدناني وأظهرني على الأعادي بنصرٍ غير تعذيرِ

اتسمت القصيدة ببساطة التعبير وسهوله المفردات، ابتعد فيها عن صوره التشبيهيّة التي عهدناها في قصائده، وفي قصيده أخرى وصف شوقه إلى لقائه وأن كلّفه الأمر مسيرة أشهر، فهو حصنه وسنده الذي يكفّ به الأعداء، مشبّهاً ممدوحه بالأسد في قوله:

إذا صادفوا دوني الوليد كأنما يرون بوادي ذي حماس مزعفرا [107]

ثم أخذ كعادته بوصف ذلك الأسد بالصور التشبيهيّة والكنائيّة الجميلة و بمفرداته الغريبة، كما أخلص الودّ له حينما مدحه بعد أن عزله الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بقصيدة اتسمت ببساطة الأسلوب وجزالة العبارة وصدق المعاني و بعدها عن الغرابة، قائلاً في بعضها:

ووجوهٌ بودّنا مشرقات ونوالٌ إذا أُريد النوالُ (108).

وللشاعر قصيدة في مدح الإمام علي (عليه السلام) وصفه بأنّه ساد الناس بتكرّمه وحلمه، وإنّ الله هداه بأخذ الحلال وترك الحرام ، وكان يردّد كلام الوحي وهما معنيان إسلاميّان، وهنا نرى أسلوبه اتسم بالّلين ومالت مفرداته إلى البساطة، ثم نعته بالغيرة والشجاعة مشبّها إياه بالأسد فغيّر أسلوبه إلى الشدّة ومالت مفرداته إلى الغرابة ؛ ليلائم بين ألفاظه ومعانيه، فشتّان ما بين قوله فيه:

هداه ربي للصراط الأقومِ بأخذه الحِلَّ وتركِ المَحْرَمِ (109)

وبين قوله في القصيدة ذاتها:

قسورة عبس صفيّ شجعـــم صمّ صمات مُصْلَخِدُّ صَلْدَمِ

مصّمت الصمّ صموت سرطم إذا رأته الأسْدُ لم ترمــرمِ

وهذا ما فضّل به نقادنا القدماء الشعراء، فأطلقوا عليه (مشاكلة اللفظ للمعنى) (110) فاجتماع أصوات السين والشين والصاد وتعاقبها وتكرارها في البيتين ثلاث عشرة مرة، وترادف عباراته ومجانساته أعطت المعنى قوة وصلابة، هكذا تستمر القصيدة التي بلغت ثلاثة وعشرين بيتاً، مما يدل على تمكن الشاعر من فنّه، إلّا أنّها بالوقت نفسه أحدثت معاضلة لفظيّة بتقارب مخارج تلك الأصوات وقد فضّل النقاد الشعر الذي يكون سهل المخارج (111) كما لم يكن شعراء طيء الإسلاميين من الشعراء الغزليّين ؛ فلم يصل إلينا من غزلهم سوى قصيدتين في ستة عشر بيتاً، واحدة لابن الأشرف وأخرى لأبي زبيد، كما اتسمت القصيدتان بالأوصاف الحسّية الحسنة التي لم تخدش الحياء بالرغم من أنّ الأولى قيلت في قصد الهجاء والنيل من أعراض المسلمين، فقد وصف الشاعر جمال المرأة بأوصاف العرب المعهودة فهي صفراء رقيقة ممتلئة الساقين والمرفقين مشرقة كالشمس كريمة الأصل، منها قوله:

صَفراءُ رادعة لو تعصر انعصرت من ذي القوارير والحنّاء والكتمِ (112)

كذلك كانت قصيدة أبي زبيد فصاحبته معتدلة القوام هيفاء عجزاء، طويلة الجيد، عذبة الريق ذكية الرائحة، لكنّه زاد على ابن الأشرف أن وشّى قصيدته بالصور الجميلة والغرابة ببعض المفردات، منها قوله:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبـــرة محطوطة جدلت شنباء أنيابا

ترنو بعيني غزال تحت سدرته أحسّ يوما من المشتاة هلّابـا (113)

فأوصافهما حسّية لم يشتكيا الصدود والهجران، ولم يذكرا الواشين والرقباء، ولواعج الحب وهجران النوم، وقد تفرّد أبو زبيد بأوصافه الدقيقة للأسد وهي أكثر أغراضه الشعريّة التي نظم فيها، إذ فاقت مئة البيت، وقد أفرد لها سبع قصائد ومقطوعة كما أشركها في مديحه وافتخاره وانمازت تلك الأوصاف بدقّتها وكثرة تشبيهاتها وغرابة ألفاظها، نحو قوله فيه:

كأنّ عينيه في وقبين من حَجَرِ قيضا اقتياضا بأطراف المناقيرِ

إذا تبهنس يمشي خِلْتهُ وعِثــاً وعى السواعد منه بعد تكسيـر (114)

فقد شبّه عينيه بنقرتين حفرتا في صخرة، كما شبّه تبختره كأنه يمشي في رمل، وشبّه ساعديه كأنّهما جبرتا بعد كسرهما كما، اتصفت بموسيقاها العذبة من خلال جناساته وترادفاته وتكراراته وترصيعه وتقطيعه، نحو قوله:

عبوسٌ شموسٌ مصلخدّ مكابرٌ جريء على الأقران للقرن قاهرُ (115)

فقد جانس بين عبوس وشموس، وواضح الترادف في مفردات صدر البيت كما أحدث تكرار الراء والقاف موسيقا إضافية، فضلاً عن تكرار صيغة (فعول) واتباعها بصيغة (مفعلل) الصاخبة؛ ليكسب معانيه قوة وشدةّ وثباتاً، كما جاء القسم الأعظم من هذه

الأوصاف على هيأة قصص شعري صوّر من خلالها المشاهد الدرامية التي ساور الأسد فيها قوما مرتحلين كان الشاعر فيهم كما وصف معركة كلبه (أكدر) مع ذلك الأسد في محاولة منعه من الهجوم على القوم في مشهد آخر، على شاكلة قوله:

ففاجأهم يستنّ ثاني عطفــه له غبب كأنما بات يمكــرُ

فنادوا جميعاَ بالسّلاح مُيسّرا وأصبح في حافاتهم يتنمَّــرُ

وندّت مطاياهم فمن بين عاتق ومن بين مودٍ بالبسيطة يَعجرُ (116)

اتصفت بوحدتها العضويّة بترابط أجزائها ووحدة الإحساس والشعور، فضلاً عن الميزات التي ذكرناها، كما تفرد الشاعر أيضاَ بأبيات الحكمة، فقد عرض تجاربه وأبدى رأيه في تدارك الأمور قبل انتشارها، ونهى عن النمائم، ودعا إلى اتّقاء سخط القوم، ومداراة ذوي القربى، ونصح الولاة بالتوسط بين اللّين والشدّة (117)، وله رأي جميل في الصّديق في قوله:

وكُنت إذا الصّديقُ أراد غيظي وأشرقني على حنق بريقـي

غفرتُ ذنوبه وصفحت عنـــــه مخافة أن أعيش بلا صديق (118)

فقد دلّ على كرم خلقه بغفر الزلّة، وصاغ الشاعر هذه الحكم بأسلوب الشرط تارة ليدل على معرفته بالنتائج قبل وقوع الأفعال بالجمل الإسميّة لدلالتها على الثبات كما استخدام أسلوب النهي تارة أخرى لملائمته تقديم النصح ببساطة المفردات والتقريريّة المباشرة.

الخاتمة

نودّ في الأسطر الأخيرة من البحث أن نلخّص رأينا في شعراء طيء الإسلاميّين فنقول:

1-نّ المقطّعات الشعريّة غلبت على شعرهم، أجادوا في مقطّوعاتهم الحربية الإرتجاليّة لإثارة حماس المقاتلين، ولكنّهم أخفقوا في كثير من الأحيان حينما نظموا الأغراض الأخرى بهذه المقطّعات؛ كونها تتطلب نفسا شعريّا أطول.

2-لم يتّبعوا في كثير من الأحيان سنن العرب في افتتاحيات قصائدهم فقد باشروا موضوعاتهم مستغنين عن المقدّمات، وقد عللنا ذلك بأن شعراءهم لم يكونوا مدّاحين ولا هجّائين، فلم يعتنوا بأشعارهم ويهذبوها؛ لينافسوا أو يغلبوا غيرهم، فعلى الرغم من ذلك فقد نظم قسم منهم أشعاراً ناجحة فنّياً، أجادوا في مطالعها وتلاحم أجزائها، فلم يكونوا على قدر متساو من الشاعريّة في نظم الأغراض المتعدّدة ولم يؤثر عن خريّم سوى مقطوعة في المديح وحريّث مقطوعة في الرّثاء، كما لم يؤثر عن منفوسة غير ثلاثة مصاريع ترقّص بها وليدها , ولم يكن فخر عدي بن حاتم بالفخر السابق . في حين أحسن عروة في الفخر وكعب في الرثاء، وكان هجاء شعراء طيء الاسلاميين متواضعاً. ابتدع فيه ابن الأشرف طريقة الغزل الهجائي لإغاظة خصومه، كذلك كانت مدائحهم إذ لم تكن بالمديح الرافع إذا ما استثنينا مدائح أبي زبيد في الوليد بن عقبة, وقد تفرّد أبو زبيد في أوصافه الدقيقة للأسد فضلاً عن حكمه المميّزة .

الهوامش

1-أجأ : جبل بنجد غربي فيد، فيه قرى كثيرة . ينظر: مراصد الإطلاع 28/1 سلمى : جبل وعر يمتد الى قرب الشام فيه وادٍ يقال له : ركّ به نخل وآبار طيبة الماء ينظر: المصدر نفسه 729/2 .

2- ينظر: جمهرة أنساب العرب 431 , الأغاني 245/17 .

3- ينظر :المعمّرون والوصايا 91 , شعراء طائيون 12 .

4- البيت ضمن مقطوعة من الرجز , شعراء طائيون 13 .

5- ينظر: تاريخ الطبري 111/3 .

6- زيد الخيل بن مهلهل الطائي , ذكر إنّه من المؤلفة قلوبهم , وفد على رسول الله ولقّبه زيد الخير وأكرمه , وأثناء عودته وافاه الأجل سنة 10هـ ينظر نفسه 92/3 , 145 .

7- أمثال : حاتم الطائي وكعب بن الاشرف وزيد الخيل وأبي زبيد والطرماح وأبي تمام والبحتري ... .

8- عنوانه : شعراء طائيون جمع ودراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي الطائي .

9- إذ نظن أنّه لم يذكر كعب بن الأشرف ليهوديّته وعداوته المعلنة للمسلمين ولم يذكر أبا زبيد الطائي لنصرانيّته ولم يذكر الطرماح لخارجيّته .

10- أمثال بشر بن العسوس .

11- أمثال حاتم الطائي وزيد الخيل والطرمّاح بن الحكيم .

12- الوساطة بين المتنبي وخصومه 64 .

13- هو من طيّء أحد بني نبهان وأمه من بني النضير كان شاعراً فارساً وله مناقضات مع حسّان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج . هجا المسلمين والنبي (ص) فأهدر دمه ثم قتل سنه 3هـ ينظر السيرة النبوية 52/3 , طبقات فحول الشعراء 282 , تاريخ الطبري 488/2 , اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي 93 , الشعراء اليهود العرب 28

14- بعد السموأل وابن أبي الحقيق ينظر طبقات فحول الشعراء 282 .

15- الأغاني 106/19 .

16- هو عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي شاعر مخضرم مجيد أسلم وحسن إسلامه أرسل الى الخليفة عمر (رض) مبشراً بالنصر في القادسية فسمّاه البشير توفي سنة 37هـ ينظر: فتوح الاسلام 110 , الأغاني 256/17 الأعلام 226/4 , شعراء إسلاميّون 131 , شعراء طائيّون 33.

17- ابن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة ينتهي نسبه الى طيء . ينظر : الحماسة البصرية 193/1 , الأمالي الشجرية 337/2 , شعراء طائيّون 38 .

18- هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان ينتهي نسبه الى طيء . استعمله عمر (رض) على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانيا غيره . كان على تواصل مع الوليد بن عقبة , يعد من المعمّرين , قيل مات على نصرانيته وفي أشعاره مايدلّ على إسلامه .ينظر : المعمّرون والوصايا 108 , الشعر والشعراء 219/1 , تاريخ الطبري 273/4 , الأغاني 23/11 , تهذيب تاريخ ابن عساكر 108/4 شعراء إسلاميون 559-567 .

19- شعراء إسلاميون 575 .

20- جمهرة أشعار العرب 262 , معجم الأدباء 107/4 ,شعراء إسلاميون 566 .

21- ثم الملقطي , تاريخ الطبري 31/5 ,ورد اسم أبيه : العشوش , ينظر : وقعة صفّين 279 .

22- من بني بولان وبولان هو غصين بن عمرو بن الغوث بن طيء توفي نحو 52هـ ينظر: تاريخ الطبري 9/4 , 30 , جمهرة أنساب العرب 377 ,الكامل في التاريخ 156/3, قاموس الرجال 439/5 , شعراء طائيون 39.

23- أم حكيم زوجة الصحابي قيس بن عاصم المنقري التميمي . هي من أعلام القرن الأول الهجري ينظر شعراء طائيون 50 .

24- ابن مهلهل الطائي شهد حروب الردّة بجانب المسلمين . قتل نحو سنة 60هـ ينظر: الأغاني 269/17 , الأعلام 174/2 , شعراء طائيون 51 .

25- أبو طريف صاحب رسول الله والمحدّث عنه جعله على صدقات طيء وأسد . كان مقدّماً عند الخلفاء الراشدين وقائد الإمام علي (ع)وناصره توفي سنة 67هـ ينظر: المحبّر 126-156 , مروج الذهب 310/2-305 سير أعلام النبلاء 109/3-111 , المعمّرون والوصايا 46 , الأغاني 363/17 , الأعلام 220/4 .

26- ينظر : شعراء طائيون 33-35 .

27- ينظر :نفسه 39-40 .

28- ينظر :نفسه 68 .

29- البيتان من الرجز , المبالط : المجالد بالسيوف , السميدع : السيد الكريم الشجاع . نفسه 40 .

30- المقطوعة من الرجز , تاريخ الطبري31/5 , وينظر : وقعة صفّين 279 .

31- الرأي لابن الزبعرى , العمدة 187/1 .

32- ينظر : السيرة النبوية 54/3 , شعراء إسلاميون 605 , 611 , 612 , 614، 635 ,661 , شعراء طائيون 50 , 51 , 58 , 66 , 68 .

33- الأبيات من المنسرح , شعراء إسلاميون 605 .

34- ينظر : نفسه 614 , 629 , 653 .

35- ينظر شعراء طائيون 66 .

36- ينظر : السيرة النبوية 54/3 .

37- المثل السائر 236/2 .

38- ينظر : العمدة 231/1 .

39- ينظر : الشعر والشعراء 524/1 , خزانة الأدب 108/1 .

40- هو الصحابي الجليل حجر بن عدي بن جبلة الكندي . من المقدّمين في الإسلام . وفد على رسول الله (ص) وشهد القادسية . سكن الكوفة قتل ستة 51هـ , الأعلام 169/2 .

41- القصيدة من الطويل , شعراء طائيون 40 , ولعل رواية الثاني الصائبة 0 (غضونه) كما في تاريخ الطبري 281/5 .

42- نظن الرواية الصائبة للبيت (المضاع) كما في : تاريخ الطبري 285/5 .

43- تمامه : (وأسارهِ إذ بان منك فأقصرا) , شعراء طائيون 41 .

44- تمامه : (ومن لَكُمُ مثلي إذا البأس أصحرا) نفسه 44.

45- المثل السائر 258/2 .

46- تمامه : (جديلة والحيين مَعْنًا وبحترا) شعراء طائيون 45 .

47- عديك : هو أحد رهط حاتم الطائي وهو عدي بن أحزم , من الغوث بن طيء . ينظر :جمهرة أنساب العرب 378 .

48- النيب: النوق المسنّة , هرهر: دعا الإبل الى الماء , القرن الكمي : الفارس الشجاع , مقطّر: مجندلاً . نفسه 47.

49- من الطويل. شرح ديوان امريء القيس 35 .

50- من الخفيف . شعراء إسلاميون 592.

51- جمهرة اشعار العرب 260 , خزانة الادب 155/2 .

52- من المديد . شعراء إسلاميون 577 .

53- ينظر: طبقات فحول الشعراء 282 .

54- ينظر: شعراء طائيون 34-37 .

55- نفسه 67 .

56- ينظر: شعراء إسلاميون 641 .

57- ينظر : نفسه 611 , 614 , 617 , 621 ,649 , 656 , 662 .

58 – يوم انتصر فيه المسلمون على الفرس . ينظر : فتوح الإسلام 72 , أيام العرب في الإسلام 308 والقصيدة . من الطويل . ولعل كلمة (جميع) محرّفة عن (جموع) . شعراء طائيون 36 .

59- من الطويل , ولعل (أدمي) مصحفة عن (أدمى) . نفسه 34-35 .

60- من الرجز مع بيت آخر قالهما يوم نهاوند . نفسه 33.

61- ينظر :نفسه 40-49 .

62- من البسيط , الشحط : البعد , نصعوا : أظهروا العداوة , القحوم : الكبير , الضرع : الضعيف , أضلعن : أثقلن , المضطلع : القوي المحتمل . شعراء إسلاميون 641 .

63- الشعر والشعراء 75/1 .

64- من الخفيف , الغلواء بضم الغين : المرح . شعراء إسلاميون 583 .

65- ينظر : شعراء طائيون 38 ,51 .

66- ينظر : نفسه 50.

67- العمدة 185/1 .

68- ينظر : شعراء طائيون 68 .

69- العمدة 208/1 .

70- من الوافر , شعراء طائيون 68 .

71- نقد الشعر 4 .

72- ينظر : العمدة 104/1-105 , الوساطة بين المتنبي وخصومه 34 , منهج النقد الأدبي عند العرب 169

73- البيت من الكامل . السيرة النبوية 52/3 , المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 784/9 .

74- البيتان من الطويل . عذراء : قرية بغوطة دمشق . مراصد الإطلاع 925/2 , الكنهور : السحاب المتراكم . شعراء طائيون 41 .

75- من الطويل . نفسه 52 .

76- ينظر : وقعة صفّين 280 , تاريخ الطبري 31/5 .

77- ينظر : جمهرة أشعار العرب 260 .

78- من المنسرح . تقارش الرماح : تشاجرت , المرس : الحبل , جلز السّنان : حلقة أسفل الرمح . شعراء إسلاميون 639 .

79- من البسيط . النهبلة : الهرمة , العلفوف : الشيخ الكبير المسنّ . نفسه 652 .

80- من البسيط . الأضغان : الأسرار , الحبر : العالم . نفسه 612 .

81- ينظر: نفسه 614 .

82- الوساطة بين المتنبي وخصومه 34 .

83- ينظر : شعراء إسلاميون 661 .

84- من الطويل . السيرة النبوية 54/3 , المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام 785/9 .

85- السيرة النبويـة 52/3 , الشعراء اليهود العرب 28 .

86- ينظر : تاريخ الطبري 488/2 .

87- من الطويل . شعراء طائيون 45 .

88- ينظر : نفسه 66 .

89- ينظر: شعراء إسلاميون 577 .

90- من الخفيف . الغلواء : المرح . نفسه 583 .

91- العمدة 115/2 .

92- نفسه 122/2 .

93- من الخفيف . شعراء إسلاميون 586 .

94- ينظر : نفسه 614 .

95- ينظر : نفسه 629 .

96- العمدة 197/1 .

97- نفسه 172/2 .

98- من الرمل . طبقات فحول الشعراء 282 , المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 784/9 , اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي 93 .

99- اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي 93 .

100- المقيّدة ذات الروي الساكن، والمتدارك هو أن يتوالى حرفان متحرّكان بين ساكنيها . ميزان الذهب 121

101- من المنسرح . شعراء طائيون 38 .

102- البيان والتبيين 67/1 , وينظر شرح ديوان الحماسة 9/1 .

103- الوساطة بين المتنبي وخصومه 34 .

104- هو الوليد بن عقبة بن معيط . كنيته أبو وهب . أسلم يوم الفتح . ولي الكوفة لعهد الخليفة عثمان بن عفان (رض). تنظر ترجمته : أسد الغابة 420/5 , شعراء إسلاميون 656 .

105- ينظر : شعراء إسلاميون 620 .

106- من البسيط . التعذير : التقصير . نفسه 621 .

107- من الطويل . حماس : موضع تلقاء عرعر تكثر فيه الأسود , المزعفر : الأسد الورد نفسه 617 .

108- من الخفيف . نفسه 658 .

109- من الرجز . مصلخدّ : مكابد , صبور على الأهوال . نفسه 662 .

110- شرح ديوان الحماسة 9/1 .

111- ينظر : البيان والتبيين 67/1 .

112- من البسيط . تاريخ الطبري 488/2 , المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 785/9 .

113- من البسيط . محطوطة : المصقولة الملساء , مجدولة : ليست برهلة , الشنب برد في الأسنان وعذوبة في الريق , الهلاب : الريح الباردة . شعراء إسلاميون 588 .

114- من البسيط . الوقب : النقرة في الصخر , قيضاً : شقّا , المناقير : حديدة كالفأس , تبهنس : تبختر , الوعث : ماكثر فيه الرمل , وعى السواعد : جبرت بعد كسر .نفسه 623 .

115- من الطويل . الشموس : الصعب الخلق , المصلخدّ : المنتصب قائما . نفسه 612 .

116- من الطويل . يستنّ : يجيء دفعة واحدة , الغبب : الجلد الذي تحت الحنك ,يمكر : ينفخ ،العاتق : السابق , عجر الفرس : مدّ ذنبه نحو عجزه في العدو . نفسه 610 .

117- ينظر نفسه 616 , 653 , 655 .

118- من الوافر . نفسه 655 .

المصادر

[1].أسد الغابة قي معرفة الصحابة . ابن الأثير علي بن أبي الكرم ت 630هـ ,ط1 دار الكتب العلمية 1994 .
[2].الأعلام . خير الدين الزركلي . ط5 بيروت 1980 .
[3].الأغاني . أبو الفرج الاصفهاني ت 356هـ . دار الكتب المصرية القاهرة . د.ت .
[4].الأمالي الشجرية . ابن الشجري علي بن حمزة ت 542هـ . تح . محمود الطناحي مكتبة الخانجي . القاهرة .
[5].أيام العرب في الإسلام . محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط2 , مصر 1968
[6].البيان والتبيين . عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ . تح . عبد السلام محمد هارون , ط1 القاهرة 1945 .
[7].تاريخ الطبري . محمد بن جرير الطبري ت 310هـ تح . محمد أبي الفضل إبراهيم ط3 دار المعارف 1979.
[8].تهذيب تاريخ ابن عساكر . بدران عبدالقادر , المكتبة العربية دمشق 1351هـ .
[9].جمهرة أشعار العرب . محمد بن الخطاب القرشي ت 170 هـ , تح . محمد علي البجاوي دار صادر 1967.
[10]. جمهرة أنساب العرب . ابن حزم الأندلسي ت 456هـ ,تح. ليفي بروفنسال مصر 1948 .
[11]. الحماسة البصرية . صدر الدين علي البصري ت 658هـ .تح. مختار الدين أحمد . بيروت .
[12]. خزانة الأدب . عبد القادر بن عمر البغدادي ت 1093هـ .تح. عبدالسلام محمد هارون ط3 . مصر 1989.
[13]. سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي ت 748هـ ,تح. د. محمد أسعد طلس , القاهرة 1962 .

[14]. السيرة النبوية . عبد الملك بن هشام ت 218هـ , تح. مصطفى السقا وآخرون , ط2 , د.ت .
[15]. شرح ديوان الحماسة , أحمد المرزوقي ت 421هـ , تح. احمد أمين وعبد السلام هارون ط1 , القاهرة 1951
[16]. شرح ديوان امريء القيس . حسن السندوبي , ط5 مطبعة الاستقامة القاهرة , د.ت .
[17]. شعراء إسلاميون . د. نوري حمودي القيسي ,ط2 مكتبة النهضة العربية بيروت 1984 .
[18]. الشعراء اليهود العرب . مراد فرج , مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة 2017 .
[19]. شعراء طائيون . عبد الأمير مهدي الطائي , ط1 بغداد 1990 .
[20]. الشعر والشعراء . ابن قتيبة الدينوري ت 276هـ , تح. أحمد شاكر . دار المعارف 1958 ..
[21]. طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام الجمحي ت 231هـ , تح. محمود محمد شاكر . دار المدني بجدة .
[22]. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني ت 456هـ , تح. محمد عبدالقادر, دار الكتب العلمية ط1 بيروت 2001 .
[23]. فتوح الإسلام . محمد بن عمر الواقدي ت 207هـ , مصر 1891 .
[24]. قاموس الرجال . محمد تقي التستري , طهران 1379هـ .
[25]. الكامل في التاريخ . ابن الأثير علي بن أبي الكرم الشيباني ت630هـ , دار الفكر بيروت 1978 .
[26]. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير ت673هـ . تح. الحوفي وبدوي ط2 دار الرفاعي 1983
[27]. المحبّر . محمد بن حبيب ت245هـ , تح. شتيتر , بيروت , د.ت .
[28]. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . عبد المؤمن البغدادي , تح. علي البجاوي ط1 بيروت 1954 .
[29]. مروج الذهب ومعادن الجوهر . علي بن الحسين المسعودي ت 346هـ , ط1 بيروت 1965
[30]. معجم الأدباء . ياقوت الحموي ت 626هـ صححه د.س مرجليوث , ط2 مصر 1965 .
[31]. المعمّرون والوصايا . أبو حاتم السجستاني ت 250هـ , تح. عبدالمنعم عامر , مصر 1946
[32]. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام . د. جواد علي , ط1 بيروت 1972 .
[33]. منهج النقد الأدبي عند العرب . د. حميد آدم ثويني ط1 دار صفاء عمان 2004 .
[34]. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب . أحمد الهاشمي , دار الثورة للصحافة , بغداد 1979 نقد الشعر. قدامة بن جعفر ت 337هـ , تح. كمال مصطفى , ط3 , القاهرة 1978 .
[35]. الوساطة بين المتنبي وخصومه . علي الجرجاني ت 392هـ , تح. أبي الفضل إبراهيم والبجّاوي ط3 , القاهرة
[36]. وقعة صفّين . نصر بن مزاحم ت212هـ , تح. عبدالسلام محمد هارون ط2 القاهرة 1382هـ .
[37]. اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي . د. محمود العزازمة , مجلة جامعة الخليل مج 7 العدد 1 سنة 2012.